191441 ـ هل يجوز الإخبار عن الله تعالى بأنه " كائن " ؟

السؤال

ما حكم إطلاق صفة " كائن " على الله جل شأنه؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا :

تقدم في جواب السؤال رقم : (84270) ، (177221) أن باب الإخبار عن الله تعالى أوسع من باب الأسماء والصفات .

ثانيا :

يجوز الإخبار عن الله تعالى بما لا يتضمن نقصاً ، أما ما يتضمن النقص أو يوهمه فلا يجوز الإخبار عن الله تعالى به .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" يُفَرّقُ بَيْنَ دُعَائِهِ وَالْإِخْبَارِ عَنْهُ ، فَلَا يُدْعَى إلَّا بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى ؛ وَأَمَّا الْإِخْبَارُ عَنْهُ : فَلَا يَكُونُ بِاسْمِ سَيِّئٍ ؛ لَكِنْ قَدْ يَكُونُ بِاسْمِ حَسَنٍ ، أَوْ بِاسْمِ لَيْسَ بِسَيِّئٍ وَإِنْ لَمْ يُحْكَمْ بِحُسْنِهِ ، مِثْلَ اسْمِ شَيْءٍ وَذَاتٍ وَمَوْجُودٍ " .

انتهى من "مجموع الفتاوى" (6/ 142) .

ثالثا :

يحسن الإخبار عن الله تعالى بما يجوز الإخبار به عنه عند الحاجة إلى ذلك ، كالرد على المبتدعة ، أو التنزل عند المجادلة أو تفسير معنى الصفة ونحو ذلك ، ولا ينبغي أن يتوسع فيه الإنسان بما لا حاجة إليه ، حتى ربما جره ذلك إلى الإخبار بما لا يليق .

وقد روى البخاري (7418) عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنهما : " أن نَاسا مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ دخلوا على النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا : جِئْنَاكَ لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ وَلِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ مَا كَانَ ؟ قَالَ : (كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ) .

وفي رواية : (كان الله ولم يكن شيء غيره) ، وفي أخرى : (ولم يكن شيء معه) راجع الفتح (6/289)

فإذا كان مراد القائل بذلك : الإخبار عن وجود الله تعالى في الأزل ، وأنه لم يزل ، ولا يزال موجودا ، يستحيل عليه أن يغيب

عن ملكه وسلطانه ، ويستحيل أن يكون قد أتى عليه وقت في الأزل لم يكن فيه موجودا ، كما يستحيل أن يأتي عليه وقت في الأبد لا يكون فيه موجودا ؛ بل كل شيء هالك إلا وجهه ، كما قال تعالى : (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) القصص/88 ، وقال تعالى : (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) الرحمن/16- 17 ، وكما ثبت في دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه كَانَ يَقُولُ: (اللهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي ، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ) رواه مسلم (2717) .

إذا كان مراد القائل هذا المعنى ، فلا حرج في إطلاق ذلك على الله ، والإخبار عنه بأنه كائن ، أي موجود ، باق ، سبحانه وتعالى .

وقد جاء مثل ذلك في كلام السلف .

روى الإمام أحمد (10957) والبيهقي في "الأسماء والصفات" (1/ 40) من طريق جَعْفَرِ بْنِ بُرْقَانَ , عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ , رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَسْأَلُكُمُ النَّاسُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ , حَتَّى يَسْأَلُوكُمْ : هَذَا اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟) قَالَ جَعْفَرٌ: فَحَدَّثَنِي رَجُلٌ آخَرُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ , قَالَ جَعْفَرٌ كَانَ يَرْفَعُهُ : (فَإِنْ سُئِلْتُمْ فَقُولُوا : اللَّهُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَخَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَهُوَ كَائِنٌ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ) .

وعن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن رجالا سترفع بهم المسألة حتى يقولوا : الله خلق الخلق ، فمن خلقه ؟) .

فكان معمر يصل في هذا الحديث ، فيقول : (الله خلق كل شيء ، وهو قبل كل شيء ، وهو كائن بعد كل شيء) .

رواه عبد الرزاق في "المصنف" (11 /244) ، ورفع هذه الزيادة (كائن) [أي : نسبتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم] : ضعيف .

وروى ابن أبي حاتم في تفسيره (15664) بسند صحيح عن مُحَمَّد بْن حَمْزَةَ بْنِ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلامٍ أَنَّ مُوسَى- عَلَيْهِ السَّلامُ- لَمَّا انْتَهَى إِلَى الْبَحْرِ قَالَ : (يَا مَنْ كَانَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَالْمُكَوِّنُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَالْكَائِنُ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ : اجْعَلْ لَنَا مَخْرَجًا) .

وروى الإمام أحمد في الزهد (345) عَنْ وَهْبٍ قَالَ: " قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا رَبِّ ، إِنَّهُمْ يَسْأَلُونَنِي كَيْفَ كَانَ بَدْؤُكَ؟ قَالَ: (فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي الْكَائِنُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْمُكَوِّنُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَالْكَائِنُ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ) .

وينظر أيضا : "مدارج السالكين" (3/ 183) .

أما إذا أطلقت هذه اللفظة على الله تعالى ، فأوهمت في سياقها نقصا ، أو جراءة على مقام الله جل جلاله : حرم ذلك ، وحرم إطلاق كل ما يوهم نقصا في حق جل وعلا ، لكن ذلك ، كما قلنا لم يكن بأصل وضع الكلمة ، وإنما هو بحسب دلالتها السياقية ، أو العرفية .

وينظر للفائدة جواب السؤال رقم : (48964) .

والله أعلم .